من العصور الوسطى إلى الأزمنة الحديثة(*)

تأليف هانز كوهين

٣ – المرأة الجديدة

خطت تركيا والشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي خطوة حاسمة في العصر الحديث نحو تحرير نسائهم ، ومساواتهن بالرجال أمام القانون وفي الحياة العامة . ولكن لا تزال مصر والأقطار العربية في مفترق الطرق . وقد نشطت حركة تحرير المرأة في مصر والبلاد العربية في الجيل الماضي ، وأحرزت نجاحاً في مسألة قانون الزواج . ولعبت المرأة دوراً إيجابياً في الجهود الوطنية من أجل الاستقلال منذ الحرب العظمى (الأولى) .

وكانت صفية زغلول تقف دائماً إلى جانب سعد ، ومثلته وهو في منفاه ، واستحقت لقب الشرف : أم المصريين . إذ التفت حولها مجموعة من سيدات المجتمع ، ونشطن في نصرة زغلول .

وقد قامت الحركة النسائية في مصر بدور معقول تحت رئاسة هدى هانم شعراوي أرملة شعراوي باشا الذي اصطحب سعداً في نوفمبر ١٩١٨ عندما ذهب إلى المندوب السامي البريطاني لعرض المطالب المصرية . وفي مارس ١٩٢٣ أنشىء اتحاد نسائي مصري . فأرسل وفداً إلى الاتحاد النسائي الدولي بروما . وقد أشارت هدى هانم شعراوي في خطابها إلى التصورات الزائفة عن مركز المرأة في الإسلام التي تسود الغرب .

وأعلنت أن الذي تحتاجه المرأة هو التعليم وتعديل قانون الزواج ، لضمان مركزها اللائق بها .

وكان من نتيجة الحركة الوطنية الكبرى في ١٩١٩ أن ظهرت المصريات بعد طول حجاب ، في وقت كانت الأمة في حاجة إلى كل قواها لنيل الاستقلال . فاتحدث النساء مع الرجال ، ولعبن دوراً عظيماً في الكفاح ، كاتبات في الصحف ومؤسسات للجرائد . وأسس من مواردهن الخاصة مدارس للصناعات اليدوية للفقراء ، وفتحن العيادات للأطفال المشردين ، ونظمن الجماعات الأدبية والثقافية .

وقد يعتبر المشروع الذي يناقش قانون الزواج الإسلامي — المقدم في عام ١٩٢٩ — نجاحاً أحرزته الحركة النسائية المصرية ، إذ يجعل الطلاق أكثر صعوبة ، وللزوجة الحق في طلب الطلاق إذا أساء الزوج المعاملة لدرجة تجعل حياتهما غير محتملة .

ويمكنهما طلب الطلاق إذا هجرها زوجها لأكثر من عام ، بدون سبب وجيه ، أو إذا حكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر على الأقل . وفي المشروع قواعد جديدة تتحكم في رفض الزوج إبقاء زوجته ، وحالات النزاع حول الصداق . وترك الأبناء مع أمهم حتى سن التاسعة ، والبنات حتى الحادية عشرة ، وذلك في حالة الشقاق والانفصال .

ويبطل الطلاق إذا أعلنه الزوج مضطراً ، أو في حالة سكر . وليس للقاضي أن يرفض طلاقاً ، ولكن عليه مناقشة الأسباب ومحاولة النصح بالصلح . ومع أن هذه الشروط تمثل حدوداً واضحة في تفسير القانون السابق ، إلا أن شرط العقوبة على الزوج الذي نطق بالطلاق بدون توسط القاضي الشرعي — قد أحدث تغييراً عظيم الأهمية .

هذه الإصلاحات — إن لم تكن مست التقاليد — ترمي إلى اتخاذ مستويات قانونية ثابتة للأوضاع الاجتماعية . ولم يمانع الشروع في تعدد الزوجات ، بل جعل الزواج الثاني أكثر صعوبة . وذلك بأن حتم على الزوج أن يبرهن أمام القاضي الشرعي أنه في مركز يمكنه — ماليا وأخلاقيا — بالقيام بحاجات زوجاته ومن يعولهم .

وفي مسألة تحرير المرأة نجد أن مصر أكثر تقدما من سوريا والعراق ، وأن برنامج الحركة النسائية اجتماعي قبل كل شيء . فهو يقضي بإنشاء مدارس ومراكز تعليمية للنساء والفتيات المحتاجات ، وتعليم بنات الطبقات الدنيا في مدارس لتدبير المنزل ، وتدريب ممرضات لرعاية الأطفال والمرضى .

وليست هناك معارضة جدية للحجاب سواء في مصر أو سوريا . ولكن حادثاً وقع في بيروت في مايو ١٩٢٨ يدل على

(*) فصل من كتاب هانز كوهين (الوطنية والاستعمار في الغرب الأدنى) الطبعة الانجليزية . لندن . ١٩٣٢

التغير التدريجي في الآراء . فقد زاد عدد السافرات اللاتي ظهرن في المجتمع سافرات في هـذا الشهر . وقامت حركة احتجاج ، ووزعت المنشورات تدعو المسلمين لاتخاذ خطوات ضد السافرات . وفي الجمعة التالية تكلم الخطباء في المساجد ضد هذه المنشورات ، وطالبوا باحترام الحرية الفردية . ثم نظمت الحركات النسائية في سوريا وفلسطين والعراق .

وفي إبريل ١٩٢٨ انعقد أول اجتماع للنساء السوريات لمناقشة مسائل التعليم والتدريب المهني ، وتعديل قانون الزواج . واقترح الاتحاد عقد مؤتمرات سنوية لنساء العرب ، تنعقد بالتتابع في مصر وسوريا وفلسطين والعراق . وكان غرض الحركة النسائية في فلسطين مناصرة الكفاح من أجل استقلال العرب . وفي مصر وسوريا توجد صحافة تدعو لمصالح المرأة ، وكثيراً ما يحررها النساء[1]

وفي يولية ١٩٣٠ انعقد مؤتمر لنساء البلاد العربية ، وكان يعتبر دليلا للوحدة الشرقية . وجاءت الوفود وأرسلت التقارير من الحجاز والعراق وتركيا وإيران وأفغانستان والهند الإسلامية كما أرسل الاتحاد النسائي الدولي مندوبة . وقد أكدت رئيسة المؤتمر نور حمادة ضرورة حصر الكفاح في رفع مستوى المرأة ثقافياً واجتماعياً ، وليس في المطالبة بالحقوق السياسية . لقد كان حجاب المسلمة منافياً للطبيعة ، وسوف يزول من نفسه بارتفاع مستوى التعليم . وناقش المؤتمر تعديلات قانون الزواج ومسألة الخدمة الاجتماعية ، وطالب باصلاح التقاليد الزوجية . فيجب على الرجل وزوجه أن يعرف كل منهما الآخر قبل الزواج ، وينبغي تقليل أهمية الشوار purchase price بين المسلمين والصداق بين المسيحيين . وأعلن أن اتحاد المسلمات مع المسيحيات في مصر والأقطار العربية سيجعل من الحركة النسائية عاملا هاماً في التقدم الثقافي والاجتماعي .

ويعلل دخول الفلسطينيات في هـذا المحيط من الوجهة الجغرافية فقط ؛ فالنساء في الدوائر الأرثوذكسية واليهودية متساويات مع النساء العرب في الثقافة والاجتماع . ثم إن اليهوديات اللاتي هاجرن إلى فلسطين — من أوربا في الخمس سنوات السابقة — قد أتين بالأفكار التقدمية في النشاط الثقافي والاجتماعي والسياسي . فتذهب الفتيات كالفتيان إلى المدرسة ، وتلعب الجمعيات النسائية دورها في الصحة والخدمة الاجتماعية . وبفضل جهود اليهوديات ضمن النساء المساواة التامة في فلسطين . ولكن اعتبارات قومية تحول دون وقوع احتكاك مباشر بين الحركات النسائية اليهودية والعربية في فلسطين .

وليس من شك في أن الجماهير قد تنبهت إلى اليقظة الوطنية والسياسية ، وكفى بمواطقهم السياسية الملتهبة أمثلة واضحة . فشعروا بالمسئولية لمحو الأمية وإنشاء مكتبات شعبية ، وتأسيس المدارس وإقامة حلقات ثقافية .

حقاً ، إن الصحف السياسية تقرأ على نطاق واسع مدهش ، حتى الذين لا يعرفون القراءة في القرى ، يستمعون إلى محتوياتها بصوت عال . ولكن مدى قراءة الكتب الجيدة أقل اتساعا ، وغالباً ما تجهلها الطبقات ، ثم إن معظم الصحف فقيرة في المادة الثقافية .

وعندما تتحقق الأغراض الوطنية والسياسية ، فإن قوى الحركة يمكنها أن تتجه إلى الغايات الثقافية .

ترجمة

(يتبع) محمد محمد علي

---

(١) عن موضوع مركز المرأة في الأدب العربي الحديث ، أنظر : Ettore Rossi Una Scrittice Araba Cottolica Mayy (Narie Ziyadah) in Orienţo Noderno روما — السنة ٥ ص ٦٠٤

وتدل كتابات مي بوضوح على الشعور بالوحدة التي تجمع المسلمين والمسيحيين . فقد ولدت في ١٨٩٥ وهي كاثوليكية من أب لبناني وأم فلسطينية وانتقلت إلى بيروت ثم إلى القاهرة في بداية نشاطها الأدبي . ويرجع تعهيد تعليم المرأة المسلمة ونهضتها الاجتماعية إلى اللبنانية المسيحية وردة اليازجي (١٨٧٨ — ١٩٢٤) والمصرية المسلمة عائشة عصمت تيمور (١٨٤٠ — ١٩٠٢) وملك حفني ناصف (١٨٨٦ — ١٩١٨) ويتميز هؤلاء بالوطنية العربية الصادقة . وأول كاتب أيد تحرير المرأة المصرية هو قاسم أمين المتوفى عام ١٩٠٨ ، ومؤلف « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وكان تلميذا لجمال الدين الأفغاني وصديق سعد زغلول الذي أهدى إليه المرأة الجديدة

وفي مركز المرأة في الأدب والصحافة منذ أكثر من ثلاثين سنة . أنظر : مارتن هارتمان : صحافة مصر العربية ١٨٩٩ ، ص ٤٦ — ٥٠ .

وقد ظهرت أول صحيفة عربية نسائية في مصر عام ١٨٩٢ باسم « الفتاة » تحررها سورية مسيحية هي هند بنت نوفل .

وقد أمت أول فتاة مصرية الدراسة الثانوية كتلميذة خارجية عام ١٩٠٦ ثم شغلت مناصب هامة في التعليم . وبعد عودة سعد زغلول في ١٩٢١ ألح على زوجته أن تظهر بدون حجاب . وبلغ عدد مدارس البنات الأميرية عام ١٩٢٨ : ٢٢٤ مدرسة تجمع ٦٠٠ و ٣٦ تلميذة . وقد سمحت الجامعة المصرية للفتيات بالدراسة في كليات الطب والعلوم والآداب وتقدم في السنة الأولى (٢٨ — ١٩٢٩) سبع فتيات لدراسة الطب . وفي أوائل ١٩٣٠ أثارت المحاضرات حول مساواة الجنسين : احتجاج الدوائر الإسلامية المحافظة .